مع الصحابة والتابعين

١١

ميثم التمار

ترجمه: كمال السيد

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

سبق لمؤسسة أنصاريان شرف تقديم سلسلة عن سيرة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً ، و لقد حظيت السلسلة باستقبال من فتيان الإسلام ممّا شجّع على تقديم سلسلة أخرى عن صحابة وقفوا مع النبي (صلى الله عليه و آله) و كانوا بحق رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

و هي إذ تقدّم هذه السلسلة إلى مكتبة الفتى المسلم إنما تأمل الإقتداء بأولئك الرجال الأفذاذ الذين أسهموا في صنع مجد الإسلام و رفع رايته عالياً ، و أضاءوا الطريق للأجيال .

مؤسسة أنصاريان : إيران ، قم ، شارع الشهداء

صندوق البريد : ايران / قم : ١٨٧ ، الهاتف : ٧٤١٧٤٤

مضى على استشهاد الإمام علي (عليه السَّلام) في محراب المسجد عشرون عاماً . و الكوفة الآن في أواخر سنة ٦٠ هجرية .

كان الوقت فجراً ، جاء ميثم كعادته إلى جذع نخلة ، رش الأرض حوله بالماء فانبعثت رائحة الأرض الطيبة . صلّى ركعتين ثم أسند ظهره إلى جذع النخلة .

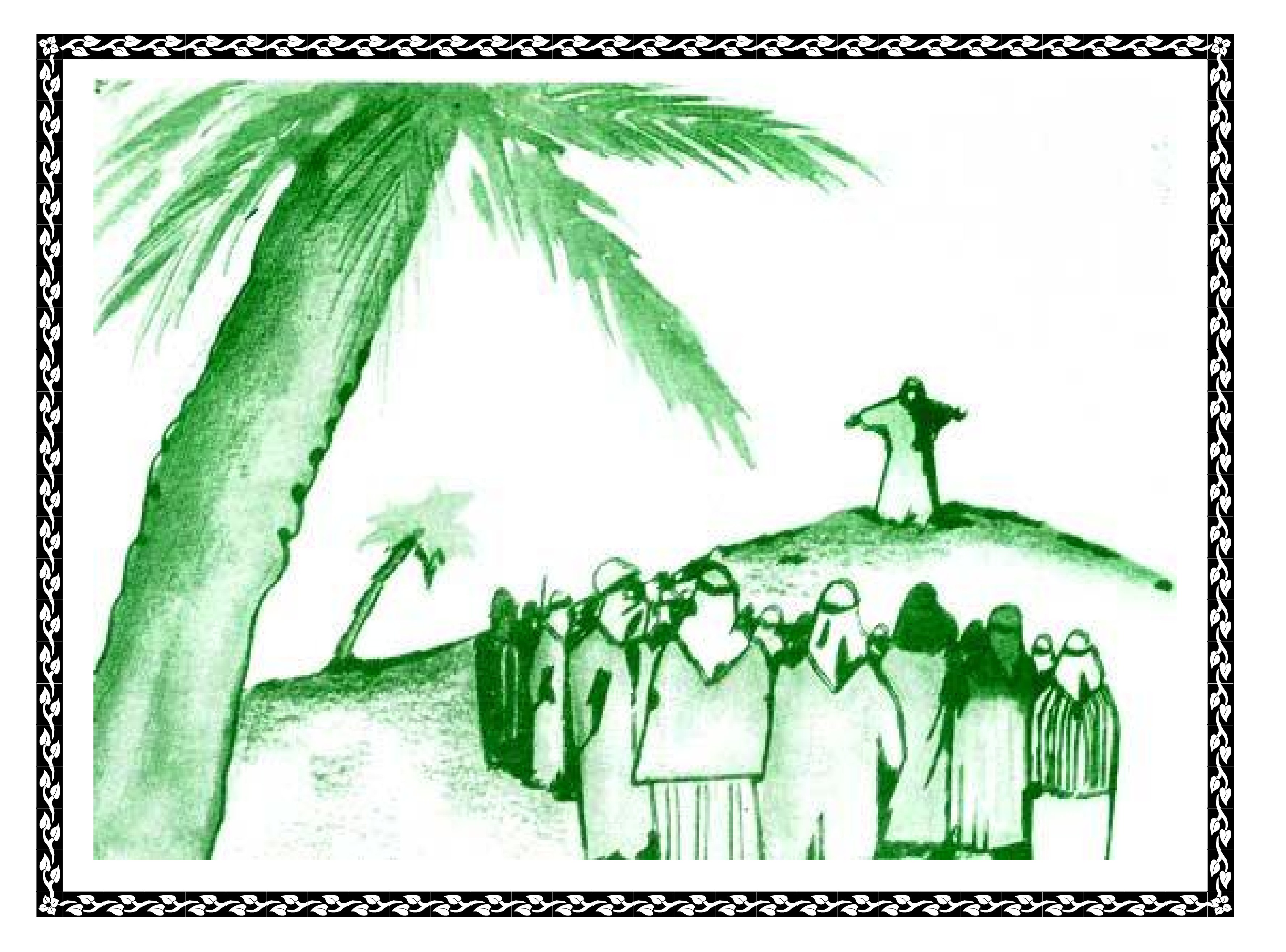
منذ أكثر من عشرين سنة و هو يزور هذه النخلة ، لم تكن هكذا مجرّد جذع يابس ، لقد كانت قبل عشرين سنة نخلة باسقة تهب الرطب و التمر و الظلال .

و تمرّ الأيام و الشهور و الأعوام و ميثم يزورها في كلّ مرّة فيصلّي عندها ركعتين و يخاطبها قائلاً :

ــ أنبتك الله من أجلي و غذاني من أجلك .

كان ميثم يحبّ هذه النخلة ، و كان يسقيها عندما كانت خضراء ، ثم جاء يوم ماتت فيه النخلة و أصبحت جذعاً يابساً ، ثم قطع الجذع من أعلاه و أصبحت تلك النخلة الباسقة مجرّد جذع قصير .

و لكن ميثم كان يداوم على زيارة النخلة كلّما سنحت له الفرصة ، فمن هو ميثم هذا ؟ و ما هي قصّته مع جذع النخلة ؟



أصله

ولد ميثم التمار في " النهروان " بالقرب من مدينة الكوفة و أصله من فارس و كان في صباه غلاماً لامرأة من " بني أسد " .

و ذات يوم اشتراه الإمام علي (عليه السّلام) و أعتقه أي أعاد له حرّيته .

كان الإمام علي منذ كان شابّاً يعمل بيده ، يحفر الآبار و العيون ويسقي البساتين فإذا توفر لديه بعض المال اشترى به عبداً أو جارية ثم يهبهما الحرّية .

عندما استعاد ميثم حرّيته اتجه إلى سوق الكوفة و أصبح بائعاً للتمر .

عاش ميثم حياة بسيطة . شيء واحد كان ينمو في قلبه : إيمانه بالإسلام و حبّه لعلي بن أبي طالب (عليه السّلام) .

لقد علّمه الإمام أن الإسلام هو طريق الحرّية ، فإذا أراد المرء أن يحيا كريماً و يموت سعيداً فما عليه إلاّ أن يؤمن بالله و اليوم الآخر و لا يخشى أحداً إلاّ الله .

و هكذا عاش ميثم . كان يبيع التمر في سوق الكوفة ، لا تهمّه مظاهر الحياة الزائفة .

و كان الإمام علي يحبّ ميثماً لصفاء روحه و طهارة نفسه ، لهذا

كان يقصده في دكانه في السوق و يتحدّث إليه و يعلّمه . و كان ميثم يُصغي إلى أحاديث الإمام لأنّه يعرف أن عليّاً هو باب مدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله) و قد قال سيّدنا محمّد (صلى الله عليه وآله) : أنا مدينة العلم و علي بابها .

الاسم الحقيقي

لو لا ذلك اللقاء لظلّ ميثم غلاماً عند تلك المرأة الأسدية و لكان اسمه " سالماً ".

عندما ما اشتراه الإمام من المرأة سأله عن اسمه فقال :

ـــ اسمي سالم .

فقال الإمام :

ـــ لقد أخبرني رسول الله ان اسمك عند العجم ميثم .

فقال ميثم بدهشة لأن أحداً لا يعرف اسمه الحقيقي :

ـــ صدق الله و رسوله .

و منذ ذلك الوقت و ميثم لا يفارق الإمام .

لقد وجد التلميذ اُستاذاً عظيماً تربّى في أحضان الرسالة .

في الصحراء

من يخرج إلى الصحراء ليلاً يشاهد السماء زاخرة بالنجوم فيمتلىء قلبه خشوعاً لله .

لهذا كان الإمام علي يخرج إلى الصحراء ليلاً يعبد الله و يدعو ، و يصطحب معه في بعض الأحيان رجلاً من أصحابه فيفيض عليه من علوم الوحي ما شاء الله .

كان يصطحب معه ميثماً إلى الصحراء فيتحدّث إليه و يعلّمه و يخبره بما سيحصل في مستقبل الأيام ، و الإمام لا يعلم الغيب و لكنه يحفظ ما سمعه من سيّدنا محمّد (صلى الله عليه وآله) الذي أخبره بأشياء كثيرة تحصل في المستقبل .

و كان ميثم يصغي إلى كلّ ما يسمعه فإذا قام الإمام للصلاة صلّى خلفه و يصغي بخشوع إلى مناجاة الإمام فتنطبع في فؤاده الحروف و تضيء في نفسه الكلمات .

في دكان التمار

كان الإمام يقصد السوق للقاء ميثم التمار ، فيجلس معه و يتحدّث

إليه ، و كان بعض الناس يمرّون فلا يعرفون الخليفة ، وكان بعضهم يعرفون الإمام فيتعجبون كيف يجلس الخليفة مع رجل يبيع التمر !!

و ذات يوم ذهب الإمام إلى دكان التمر في السوق و جلس مع ميثم .

عرضت لميثم التمار حاجة فاستأذن الإمام لقضائها و غادر الدكان .

ظلّ الإمام في الدكان ليبيع التمر . و في الأثناء جاء رجل و اشترى تمراً بأربعة دراهم و مضى .

عندما جاء ميثم و رأى الدراهم تعجب لأن الدراهم كانت مزيّفة .

ابتسم الإمام و قال :

ــ سوف يعود صاحب الدراهم .

تعجّب ميثم مرّة اُخرى ، إذ كيف سيعود بعدما اشترى تمراً جيداً بدراهم مزيّفة.

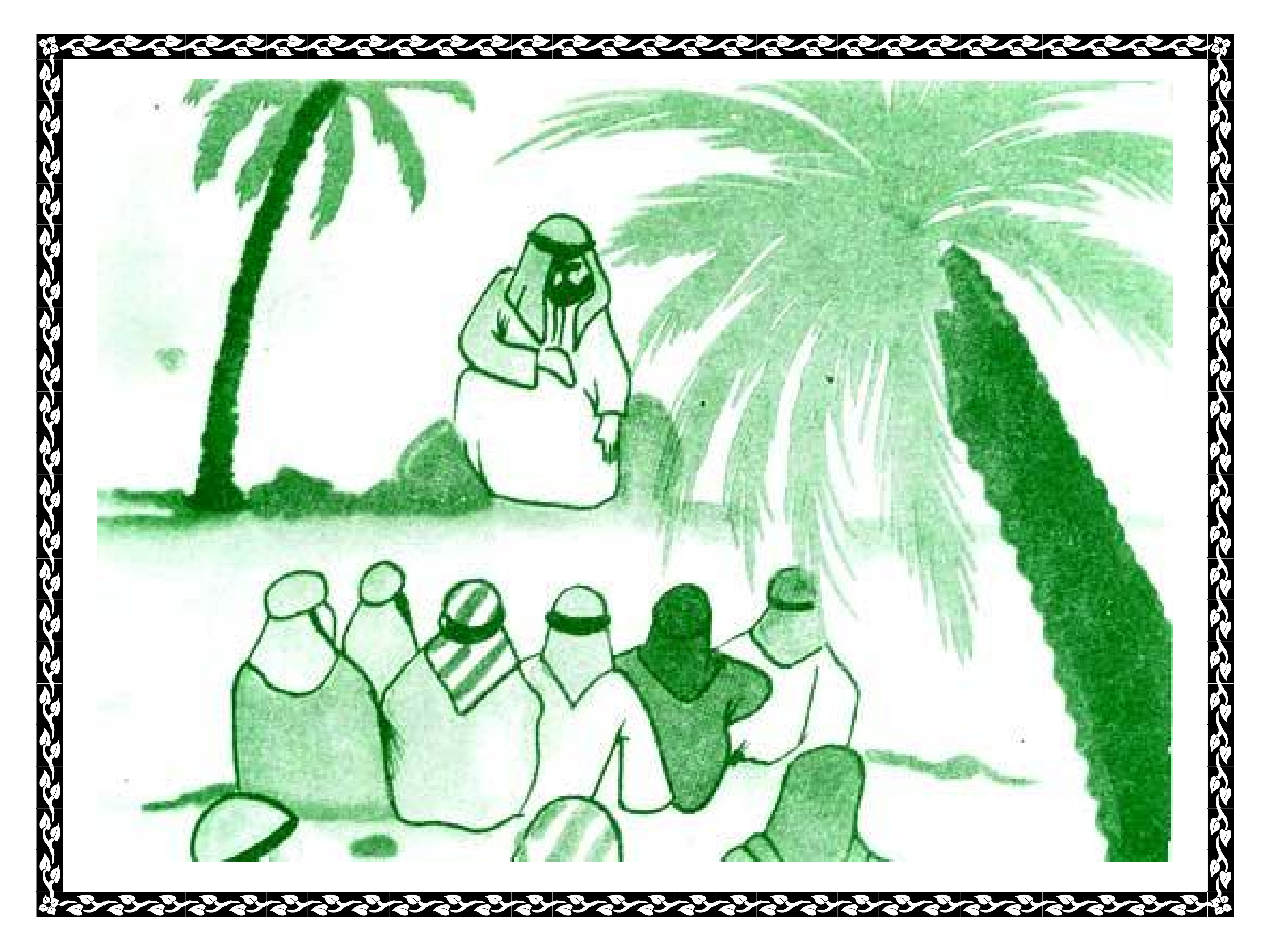
و بعد ساعة جاء صاحب الدراهم و قال بانزعاج :

ــ لا أُريد هذا التمر انّه مرّ كالحنظل . . كيف يكون التمر مرّاً ؟!

فقال الإمام :

ــ كما تكون دراهمك مزيفة .

فتح صاحب الدراهم فمه دهشة ، و أخذ دراهمه و ابتعد مسرعاً .



حبر الأمة

كان ميثم عالماً كبيراً ، فلقد تلقى علمه عن الإمام علي ، قال يوماً لحبر الأمّة عبد الله بن عباس :

ــ يا بن عباس سلني ما شئت من تفسير القرآن ، فلقد تعلمت تنزيله من أمير المؤمنين و علّمني تأويله (أي تفسيره و معرفة باطنه) .

فكان ابن عباس يجلس كما يجلس التلميذ أمام معلمه يتعلّم دروس التفسير و علم التأويل .

كان ميثم التمار عندما يرى عمرو بن حريث و هو من زعماء أهل الكوفة يقول له :

ــ سوف أصبح جارك فأحسن جواري .

فيتعجب عمرو و يقول :

أتريد شراء دار ابن مسعود أم دار ابن الحكم ؟

و لكن ميثم كان يسكت ، و يبقى عمرو بن حريث في حيرة ، ترى ماذا يقصد ميثم بذلك ؟

و تمرّ الأيام و الأعوام ، ويتعاقب على الكوفة حكّام و ولاة ظالمين يسومون الناس العذاب .

السوق

و عندما أصبح زياد بن أبيه حاكماً على الكوفة ، راح يطارد أصحاب الإمام و يقتلهم الواحد بعد الآخر . كان ينفّذ أوامر معاوية الذي ظل يحقد على الإمام ة على أصحابه ، فكان يأمر بشتم الإمام فوق المنابر كلّ يوم .

ذات يوم اشتكى أهل السوق من ظلم عامل السوق الذي عيّنه الوالي . .

و لكنّهم كانوا يخافون ، فجاءوا إلى ميثم و اشتكوا عنده مما يلاقونه من الظلم ، و قالوا له :

ـــ انهض معنا إلى الأمير نشكو إليه عامل السوق ، و نسأله أن يعزله و يولّي علينا غيره .

مضى ميثم معهم فدخل القصر و حدّث الوالي مما يعانيه الباعة في السوق .

كان أحد الجلاوزة من الحاقدين قد غاظه منطق ميثم و شجاعته فقال :

ـــ أتعرف هذا أيها الأمير ؟ انّه الكذاب مولى الكذّاب .

كان يعني أنّه أحد أصحاب الإمام علي (عليه السَّلام) .

قال ميثم :

ـــ بل أنا الصادق مولى الصادق أمير المؤمنين حقّاً .

كان حبيب بن مظاهر صحابياً جليل القدر لازم الإمام بعد وفاة سيّدنا محمّد (صلى الله عليه وآله) و كان من حواريه أي من أقرب أصحابه ذات يوم مرّ ميثم و كان راكباً فرساً بمجلس لبني أسد ، و كان حبيب بن مظاهر هو الآخر راكباً فرساً أيضاً قادماً من الجهة المقابلة فتقابلا أمام بني أسد فتحدّثا قليلاً و كان بنو أسد يصغون إليهما .

قال حبيب مبتسماً :

ـــ لكأني بشيخ أصلح ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق قد صلب في حبّ أهل بيت نبيّه .

فقال ميثم :

ـــ و أنا أعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيّه فيقتل و يجال برأسه بالكوفة .

افترق الصديقان ، و ظل بنو أسد يتهامسون فقالوا :

ـــ ما رأينا أكذب من هذين .

و في الأثناء مرّ " رشيد الهجري " و كان صديقاً لهما وهو من

حواري الإمام علي أيضاً فسأل عنهما ، فقالوا :

ــ كانا هنا ثم افترقا . . و قد سمعناهما يقولان كذا و كذا .

ابتسم رشيد و قال :

ــ رحم الله ميثماً لقد نسي أن يقول : و يزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مئة درهم . أي يضاف إلى مرتب من يجيء برأسه مئة درهم .

و مضى رشيد فيما ظل بنو أسد متعجبين منه فقالوا :

ــ و هذا و الله أكذب منهما .

و تمرّ الأيام حتى إذا حلّ شهر المحرّم من سنة إحدى و ستين للهجرة رأوا رأس حبيب بن مظاهر فوق رمح طويل يطوف به جلاوزة ابن زياد في شوارع الكوفة .

القافلة

عندما مات معاوية بن أبي سفيان جاء إلى الحكم بعده ابنه يزيد ، و كان يزيد شاباً في الثلاثين من عمره ، يشرب الخمر و يقضي وقته في اللعب و اللهو مع الكلاب و القرود .

لهذا امتنع الإمام الحسين عن مبايعته لأنّه ليس أهلاً للخلافة و إدارة

شؤون المسلمين . و كان أهل الكوفة قد ملّوا ظلم معاوية فأرسلوا إلى الإمام الحسين لكي يأتي إليهم و يخلّصهم من ظلم بني أُمية .

نقل الجواسيس ما يجري في الكوفة إلى يزيد ، و كان يزيد يستشير " سرجون " و هو رجل نصراني يحقد على المسلمين .

أشار سرجون في تعيين عبيد الله بن زياد حاكماً على الكوفة إضافة إلى البصرة .

السجن

عندما وصل عبيد الله بن زياد الكوفة بدأ بحملة اعتقالات واسعة و زجّ الكثير من المسلمين في السجون ، خاصّة أصحاب الإمام علي و الذين يؤيدون الإمام الحسين (عليه السَّلام) .

و كان مصير ميثم السجن ، و تلا ذلك اعتقال المختار الثقفي و عبد الله بن الحارث فكانوا في زنزانة واحدة .

عندما وقعت مذبحة كربلاء و قتل سبط النبي (صلى الله عليه وآله) وصل الخبر إلى السجناء فتألموا .

قال المختار لصاحبيه في السجن ميثم التمار و عبد الله بن الحارث :

ـــ استعدا للقاء الله ، فهذا الظالم لن يتورّع عن قتل الناس جميعاً بعدما قتل الحسين .

فقال عبد الله بن الحارث :

ـــ نعم إن لم يقتلنا اليوم فسيقتلنا غداً .

فقال ميثم :

ـــ كلا لن يقتلكما .

و التفت إلى المختار و قال :

ـــ أخبرني حبيبي علي (عليه السَّلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّك ستخرج و ستثأر من قتلة الحسين و أنصاره و تطأ بقدمك رأس الطاغية عبيد الله بن زياد .

ثم قال لعبد الله بن الحارث :

ـــ و أما أنت فستخرج و تتولّى حكم البصرة .

الإيمان

لقد وهب الله ميثماً إيماناً عميقاً ، فكان صلِباً لا يخاف الظالمين .

كان الناس يخافون من عبيد الله بن زياد و يرتعدون أمامه ، اما ميثم

التمار فكان ينظر إليه بدون اكتراث لأنّه يعرف إن نهايته قريبة و إن الظلم لا يدوم و الظالمون لا يبقون إلى الأبد .

في زمن معاوية و ابنه يزيد كان حبّ الإمام علي (عليه السَّلام) جريمة كبرى ، يعقبون عليها كلّ من يتهم بها .

فكان الشرطة يطاردون أصحاب الإمام ، يهدمون دورهم و يلقونهم في السجن أو يقتلونهم .

كان الإمام علي يعرف ذلك ، لهذا أوصى أصحابه .

فقد قال لميثم ذات يوم :

ـــ كيف أنت يا ميثم إذا دعاك بنو أمية إلى البراءة مني .

قال ميثم :

ـــ و الله لا أبرأ منك .

كان ميثم يعتقد أن البراءة من الإمام يعني براءة من الإسلام ، و البراءة من الإسلام يعني الكفر .

فقال الإمام :

ـــ إذن و الله تقتل و تصلب .

قال ميثم :

ـــ أصبر فان هذا في سبيل الله قليل .

فقال الإمام :

ـــ ستكون معي في الجنة .

النهاية

بعد استشهاد الإمام الحسين في كربلاء قام عبيد الله بن زياد بقتل الكثير من أصحاب الإمام علي (عليه السَّلام) و في طليعتهم ميثم التمار .

أمر عبيد الله بن زياد بإحضاره من السجن و قال له باستعلاء :

ـــ لقد سمعت بأنك من أصحاب علي .

ـــ نعم .

ـــ تبرأ منه .

ـــ فإذا لم أفعل .

ـــ سأقتلك إذن .

ـــ و الله لقد أخبرني أمير المؤمنين بأنك ستقتلني و تصلبني و تقطع يدي و رجلي و لساني .

صاح ابن زياد بعصبية :

ـــ سأكذب أمامك .

ابتسم ميثم ساخراً من هذا الأحمق .

أمر ابن زياد الجلاوزة بصلبه على جذع النخلة قرب دار عمرو بن حريث و أن يقطعوا يديه و رجليه فقط .

الجار

عندما شاهد عمرو بن حريث ميثم مصلوباً على جذع النخلة ، عرف قصد ميثم عندما كان يقول له : سوف أصبح جارك فأحسن جواري .

لهذا كان عمرو بن حريث يأمر إحدى فتياته بأن تكنس مكان الصلب و ترشّه بالماء .

قال رجل لميثم و هو يتألم لمصيره :

ــ لقد كنت عن هذا غنياً .

أي كان بإمكانك أن تعيش لو انّك تبرأت من علي .

فقال ميثم و الإبتسامة تشرق في وجهه :

ــ و الله ما نبتت هذه النخلة إلاّ لي و لا عشت إلاّ لها .

و عندها أدرك الناس سرّ زيارة ميثم للنخلة طوال تلك السنين .

أيها الناس

و راح ميثم التمار يحدّث الناس قائلاً :

ــ أيها الناس من أراد أن يسمع الحديث عن علي بن أبي طالب فليأتي إلّي .

و انطلق يحدّثهم ألواناً من العلوم ، فاجتمع الناس حوله .

و ينقل الجواسيس أخبار ميثم الذي فضح حكمهم القائم على الظلم و الجهل .

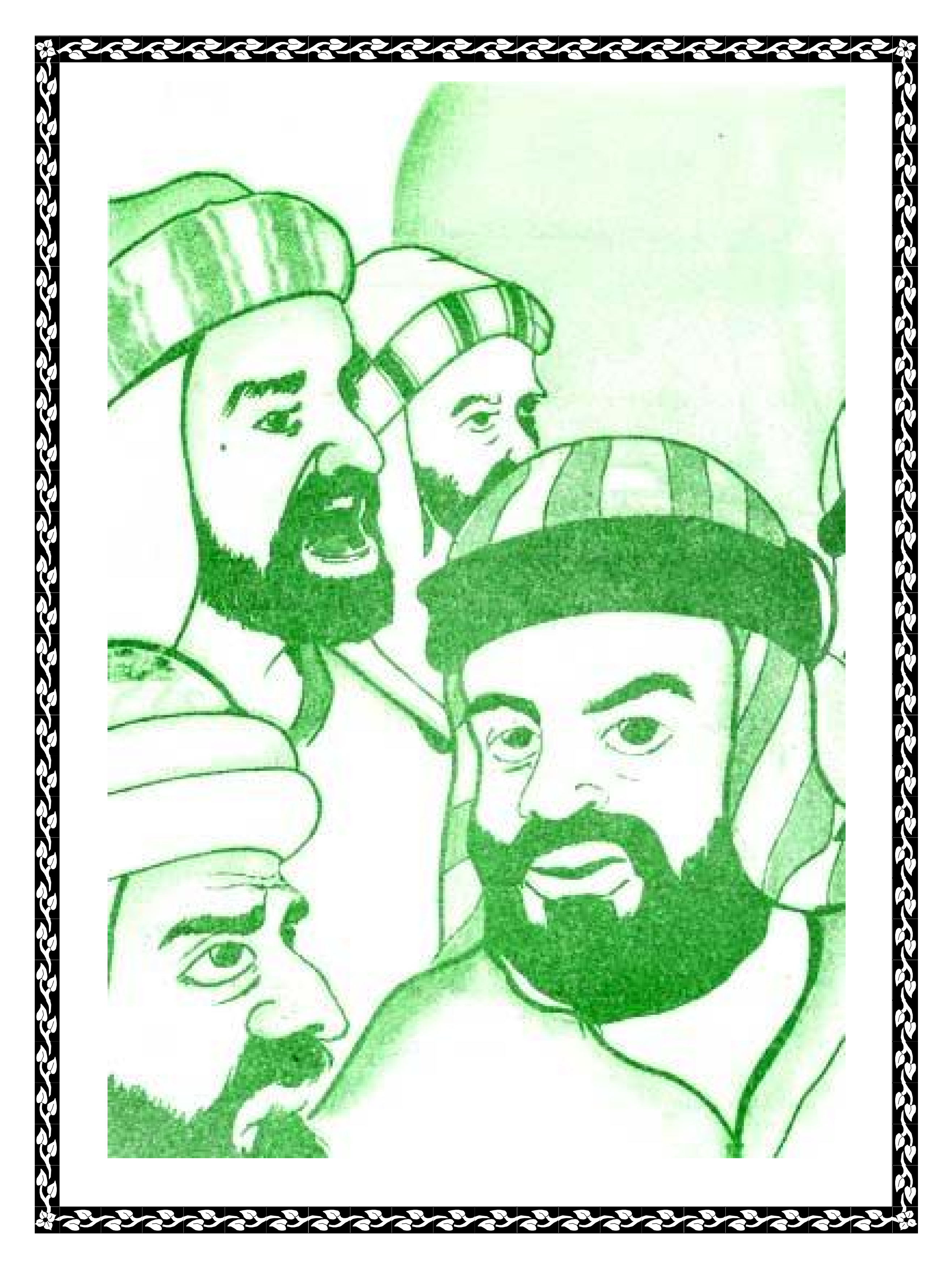
أمر ابن زياد بقطع لسانه ، و عندما تقدّم الجلاّد نحوه أخرج ميثم لسانه قائلاً :

ــ لقد أخبرني بذلك أمير المؤمنين .

ثم تقدّم جلاّد آخر فطعنه بحربته قائلاً :

ــ و الله لقد كنت ما علمتك قوّاماً (تقضي الليل في العبادة) صوّاماً (كثير الصيام) .

و هكذا انطفأت حياة هذا المجاهد ، كما تنطفئ الشموع .



المصلوب

فرضت الشرطة حراسة مشدّدة حول المصلوب ، لأن الناس يحبّون هذا الإنسان الشهيد ، الذي قضى حياته تقيّاً يعمل الخير للناس .

و ذات ليلة اجتمع سبعة أشخاص ، كانوا هم أيضاً ممّن يبيعون التمر في السوق . كانوا يحبون ذلك الشهيد ، و قرروا حمل الجسد الطاهر لدفنه .

عندما انتصف الليل جاءوا يراقبون الشرطة ، كانوا مشغولين بإيقاد النار .

عندما اشتعلت النار و تصاعدت ألسنتها في الفضاء ، تقدّم اثنان من التمّارين . امسك أحدهما بجذع النخلة ، و راح الآخر ينشر الجذع . و ما هي الاّ لحظات و انفصل الجذع .

و حمل الأصدقاء جسد الشهيد العظيم ، و اتجهوا به خارج الكوفة و هناك انزلوا الشهيد ، و فتحوا وثاقه .

رموا الخشبة بعيداً ، و دفنوا جسد الشهيد ، و تركوا علامة تدلّ على قبره .

و تمرّ ستة أعوام ، و اذا بالمختار يعلن الثورة في الكوفة ، ثم يصطدم جيشه بجيش عبيد الله بن زياد على شواطئ نهر " الخازر " في مدينة الموصل ، و إذا بسيف إبراهيم الأشتر يهوي على راس الأفعى عبيد الله بن زياد .

و عندما جاءوا برأس ابن زياد إلى المختار ، نهض من سريره و وضع قدمه فوق وجه الطاغية و تذكر كلمات ميثم له في السجن :

ـــ ستخرج من السجن يا مختار و ستتولى الثأر من قتلة الحسين و أنصاره و تطأ بقدميك على وجنتيه ، بهذا أخبرني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السَّلام) .

و تدور الأيام ، فلا يبقى أثر للجلادين . لقد اندثروا و اندثر معهم ظلمهم و طغيانهم و لا يذكرهم أحدٌ إلاّ باللعنة عليهم و على من مكّن لهم .

و عندما يغادر الزائر اليوم مدينة النجف الأشرف لزيارة آثار الكوفة سيشاهد في الطريق قبّة جميلة تزين ضريح الشهيد ميثم التمار الذي أدهش الناس بصموده الملحمي و مقاومته للطغاة .

